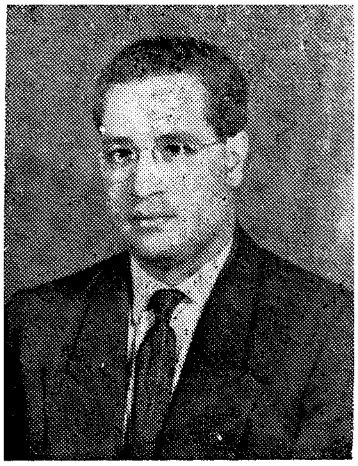

تقييم لعدد «الشعر» الخاص

ابحاث العدد

***

في كل مرحلة من مراحل حياتنا الثقافية، وعند كل جانب من جوانب هذه الحياة، تحرص مجلة «الاداب» ان تقف لترصد هذه المرحلة، أو تعمق هذا الجانب. وهي في الحقيقة لا تقوم فحسب بواجب التسجيل لظواهر حياتنا الثقافية، بقدر ما تحرص على بلورة معالم وتوكيد دلالات ودفع اتجاه.

ان اعدادها الممتازة عن الشعر والقصة والمسرح، خلال السنوات العشر الماضية، هي معالم على طريق وحدة الثقافة العربية، وهي دفعات قوية لتنميتها الى غير حد.

وعددها الاخير عن الشعر العربي الحديث هو في الحقيقة مظاهرة أدبية وفكرية تسجل انتصار حركة الشعر الحديث في مواجهة ما صادفه من عقبات في نشأته وتطوره، كما تحدد خصائص هذا الشعر الجديد، في اطار قومي وحضاري شامل.

وفي تقديري ان هذا العدد ليس خاصا بالشعر بقدر ما هو صورة للحركة الفكرية العربية عامة. ان ما يزخر به هذا العدد من مناهج نقدية، ومواقف فكرية، ورؤى فنية وأدبية يتجاوز «بالاداب» حدود الشعر الى حدود الوضع الفكري الراهن في ثقافتنا العربية. وهو يكاد يشير بهذا الى الوضع الراهن في حياتنا الاجتماعية كذلك.

ولو قمنا بمقارنة سريعة بين هذا العدد عن الشعر الحديث، وعدد سابق للاداب أصدرته عام ١٩٥٥ عن الشعر الحديث كذلك، لانتهينا الى نتائج بالغة الاهمية تكشف لنا منحنى التطور الفني والنقدي والفكري والاجتماعي في واقعنا العربي خلال هذه السنوات العشر.

على اني أريد ان ادخل مباشرة الى هذا العدد الاخير، فما اكثر ما يمتلىء به من مقالات جادة عميقة. وأحب أولا أن أقسم هذه المقالات الى ثلاثة أقسام: القسم الاول هو التجارب الشعرية يعرضها بعض كبار شعرائنا، والقسم الثاني هو مجموعة من المقالات التي تختص كل منها بشاعر من الشعراء، اما القسم الثالث فهو مجموعة أخرى من المقالات تدرس ظاهرة الشعر الحديث في مجموعها. وبهذا التقسيم الثلاثي للمقالات انتقل بها من الخاص الى العام، وأنتهي الى رؤية شاملة لواقع الحركة الشعرية والنقدية في حياتنا الثقافية المعاصرة.

القسم الاول: تجارب شعرية:

ان هذه التجارب التي يعرضها شعراؤنا هي وثائق بالغة الاهمية، تساعد على اضاءة جوانب من ابداعهم الشعري. وقد كنت أحب ألا أناقش هذه التجارب، فهي مادة قيمة لاي دراسة مقبلة لهؤلاء الشعراء، ولكني في الحقيقة أعرض لبعض انطباعات عن هذه التجارب. وهي تكاد تشكل ثلاثة أنماط من التجارب، تجارب تحرص على تعمق التجربة الخاصة في أبعادها النفسية والاجتماعية والفكرية العامة، تبين بدايتها، تطورها، روافدها المختلفة، ما يصادفها من عقبات، ما يواجهها من أشواق، ونكاد نتبين هذا في الكلمات الممتعة حقا، التي ترتعش بالصدق والعمق التي كتبها كل من عبد الوهاب البياتي وأحمد عبد المعطي حجازي ومحمد الفيتوري. نحس في كلمات البياتي رحلة حياته الواقعية والشعرية والفكرية ونحس بخلاصتها في هذه الكلمة السريعة «الموت من أجل الحرية لا الموت بالمجان». وكذلك نحس برحلة هذه الحياة بأبعادها المختلفة في كلمات أحمد عبد المعطي حجازي، نحس بالرحلة من القرية الى المدينة، من الضياع الى الثورية، ثم نعيش معه تطلعه الى لقاء خصب بين تجربة الغريب وتجربة الثوري. ونحس بالرحلة نفسها في كلمات الفيتوري، رحلته النفسية والاجتماعية والفكرية تزخر بالمأساة، والمعاناة الواعية، وهي تنمو وتتطلع الى الرؤية الانسانية الجديدة للواقع الاجتماعي المتغير.

اما تجربة صلاح عبد الصبور فقد يغلب عليها التحفظ، وقد تكون حكاية لرحلته الشعرية من خارجها، وقد تكون تقدم لنا صورة للشاعر الذي يريد ان يعرف، والذي يحرص على صقل موهبته، دون ان تفضي لنا خلاصة تجربته الشعرية.

أما تجربة أدونيس، فلا أكاد أحس فيها بروح التجربة، بقدر ما أحس بروح الاستعلاء الثقافي. كنت أتمنى أن أسمع دبيب نفس أدونيس، قصة حياته الشعرية، عقبات طريقه الباطن الزاخر بالتناقضات. قرأت فيه المثقف الذي يفلسف تجربته الشعرية. لهذا جاءت كلمته مقالا أو بحثا او تأملا في معنى الشعر، اكثر منها فضا لروح التجربة الشعرية في حياة هذا الشاعر. ولهذا فما اكثر الاحكام في هذه الكلمة التي يدعوني الشاعر الى مناقشتها. وعندما أناقشه في كلماته أكاد أحس انني أناقش بعض المدارس الفلسفية كالبرجسونية او الوجودية، أو بعض المذاهب النقدية في أوروبا، وما أحب أن أدخل في تفاصيل هذا. ولكني أعبر عن انطباعات سريعة لبعض ما جاء في هذا البحث التأملي من أفكار.

يميز أدونيس بين اللغة العربية واللغات الاجنبية، فيرى في اللغة العربية لغة انبثاق واشراق، على حين يجد في اللغات الاجنبية لغة منطق. ولا أعرف على أي أساس يقيم هذه التفرقة الغريبة، ان كل لغة هي لغة منطقية، لها مقولاتها المنطقية العامة وان لم يتناقض هذا مع نسيجها القومي العام، لا تستثنى من هذا لغتنا العربية، أما الانبثاق والاشراق وما شابه ذلك من صفات، فهي صفات يتصف بها هذا التعبير الادبي او ذاك. ألا نجد هذه الصفات الانبثاقية في

نوفاليس الالماني ، أو لوتريامو الفرنسي ، كما نجدها عند السهروردي العربي مثلا ؟ والحقيقة ان ادونيس يريد ان يجعل من موقفه من الحياة، صفة للحياة نفسها ، صفة للغة نفسها . فاذا كانت اللغة بغير منطق ، فالحياة نفسها بغير مقولات ، ومقاييسنا الحضارية نفسها الباقية اشراقية ، تأبى التحليل ، وبهذا كله يفلسف ادونيس طريقه الشعري ، بأنه تجربة فذة لا هدف لها .

وقد لا يكون من حق أحد أن يناقش رؤيا شاعر ، انه يقبلها أو يرفضها . ولكني أحس أن أدونيس يناقش رؤياه ، بل أخشى ان تكون رؤياه مناقشة تفلسف ، توهمه التعمق والارتفاع في التجربة الانسانية ، وان تكن في الحقيقة تتعمق وترتفع بها عنها وليس فيها . لقد أحسست في كلمات أدونيس فكر المثقف المتعالي ، الراغب في صب موقفه الشعري في قوالب ومقولات مطلقة ، نهائية ، رغم انه يكرر دائما رفضه الدائب للقوالب والمقولات والنهايات . ان التنوع الذي لا حد له الذي يحدثنا عنه في كلماته عن تجربته الشعرية ، يصبح مجرد لفظ يخفي دورانه حول نفسه ، حول محور ثابت جامد ، لا يتنوع ولا يتغير ولا يتحول . أخشى أن تصبح فصول أدونيس وتحولاته رحلة ذات اتجاه واحد يستبطن بها الدلالات المجردة ، لا رحلة انسانية، متنوعة الخبرات والتجارب غنية بروح الحياة والواقع .

ان أدونيس طاقة شعرية كبيرة ، أخشى ان تحتبسها رحلته الميتافيزيقية المتعالية .

القسم الثاني : دراسات عن شعرائنا المحدثين :

وقد ألاحظ في البداية انه ليس بين هذه الدراسات دراسة عن شاعر واحد من الجمهورية العربية المتحدة . حقا لقد وردت تقييمات لبعض هؤلاء الشعراء في بعض المقالات العامة عن الشعر الحديث ، فضلا عن ان هؤلاء الشعراء ، هم جزء من ظاهرة عامة عالجتها هذه الدراسات المختلفة . الا ان هذا العدد عن الشعر يفتقد دراسة عن صلاح عبد الصبور ، ودراسة عن عبد المعطي حجازي ، لما لهذين الشاعرين من اثر في ارساء قواعد الشعر الحديث (*) .

على اني ألاحظ ثانيا ان هذه الدراسات عن الشعراء المحدثين تختلف فيما بينها اختلافا عميقا من حيث منهج الدراسة . ولا شك ان هذا يعبر عن خصوبة فكرية ، وتنوع ثقافي ، ولكنه يكشف كذلك عن مدى الخلاف الفكري بين المثقفين العرب . وهو لا يتيح الرؤية الموحدة للحركة الشعرية عامة . سأرى شاعرا كعبد الوهاب البياتي على ضوء معين ، وسأرى حاوي وأدونيس على ضوء اخر . وسأرى نزار قباني على ضوء ثالث . وهكذا لن يتاح لي أن انظر الى هؤلاء الشعراء جميعا من زاوية واحدة للرؤية ، أو ان تتنوع زوايا الرؤية بالنسبة لهم جميعا . ولا يكون لكل واحد منهم زاوية رؤيا خاصة .

والحقيقة انني أكاد أتبين ثلاثة مناهج أساسية في هذه الدراسات عن الشعراء المحدثين . لعل أول هذه المناهج هو منهج الاستاذ احسان عباس في دراسته للصورة الاخرى عند عبد الوهاب البياتي . والاستاذ احسان عباس من أنضج وأعمق وأخلص من يدرسون الشعر ويستبطنون تجاربه ويستكشفون أسراره . وهو في هذه الدراسة يقدم لنا نموذجا رائعا للاخلاص والامانة في تعمق التجربة الشعرية وفض أسرارها . وهو في الحقيقة يتابع دراسته القديمة القيمة عن عبد الوهاب البياتي . ورغم انه يختار زاوية محددة للدراسة وهو ما يسميه « بالصورة الاخرى » في شعر البياتي ، الا انه في الحقيقة يغوص في أعماق التجربة الشعرية بأكملها ، ويتلمس معمارها الفني ، ويتابع حركتها الابداعية الداخلية في مهارة وذكاء . وهو في الحقيقة يحرص على تجنب التفسير الخارجي للشعر ، او احالة الشعر الى ما حوله من وقائع وأحداث نفسية او اجتماعية ، ولكنه بهذا الاخلاص والامانة في معايشة النص الشعري ، وفي متابعته لعبد الوهاب البياتي في سيرته الشعرية متابعة عميقة متأنية ينتهي في حقيقة الامر الى وضع الشاعر وضعا صحيحا على خارطة الاحداث النفسية والاجتماعية والفكرية في حياته ومجتمعه وعصره .

وهكذا من الرحلة الى داخل التجربة الشعرية ، يستطيع هذا الناقد الكبير ان يقدم لنا صورة بالغة الصدق والعمق والموضوعية عن هذه التجربة في قوانين بنائها الداخلي وفي دلالتها الخارجية كذلك .

وفي مواجهة هذا النهج الداخلي ، نجد منهجا اخر يمكن ان نسميه بالمنهج الخارجي ويتمثل أساسا في الدراسة البالغة العمق والجدية التي يقدمها الاستاذ ناجي علوش عن بدر شاكر السياب . انه على خلاف الاستاذ احساس عباس يبدأ بدراسة الشعر والشاعر من الخارج فيبدأ من الشاعر لا من الشعر ، ويبدأ من الواقع لا من التعبير ، ويستقرىء باخلاص لا حد له كذلك مختلف العناصر المكونة لحياة الشاعر وصنيعه الشعري ، ثم يأخذ في الغوص في التجربة الشعرية نفسها للشاعر فيقسمها الى مراحل ، ويحدد خصائص كل مرحلة فضلا عن تحديده للخصائص العامة لشعر هذا الشاعر الكبير ، مفسرا هذه الخصائص ، مدركا لما تتسم به من جوانب ايجابية وأخرى سلبية ، مقدما بهذا صورة بالغة النصاعة والدقة للسياب على أرض الواقع الشعري والاجتماعي والحضاري .

وهكذا بدأ الاستاذ احسان عباس من البناء الداخلي للتجربة الشعرية ليصل الى التقييم العام للتجربة الشعرية ، على حين بدأ الاستاذ ناجي علوش من الاطار الخارجي للتجربة الشعرية ، لينتهي كذلك الى تحديد القسمات الداخلية لهذه التجربة .

وعلى اختلاف هذين المنهجين فانهما في الحقيقة يعدان نموذجين من أنضج النماذج وأرقاها وأخلصها في التناول النقدي . ولعلنا نجد في دراسة الاستاذ عبد الجبار عباس للشاعر بلند حيدري منهجا شبيها بمنهج الاستاذ ناجي علوش . ودراسة الاستاذ عبد الجبار عباس دراسة قيمة جادة تتابع المراحل المختلفة للرحلة الشعرية ، لبلند حيدري ، وتكشف خصائصها الفنية في دقة وعمق . ولعلي أختلف معه في دراسته للمرحلة الاخيرة لبلند حيدري التي يغلب عليها الوجدان الاجتماعي ، دون ان تفقد الخصائص النفسية والانفعالية الخاصة لشعره . لقد أحسست انه لم يتعمق هذه المرحلة الاخيرة ، تعمقا كافيا ، رغم ما تفيض به من عطاء بالغ العذوبة والانسانية .

ان هذه الدراسات الثلاث برغم استنادها الى منهجين مختلفين ، من أقيم وأنضج الدراسات النقدية في هذا العدد ، واكثرها شمولا واستشرافا وعمقا .

وهناك دراسة قيمة أخرى للدكتور شكري عياد عن نازك الملائكة . ولقد بدأت الدراسة باستشراف بارع لحركة الشعر الحديث ، ثم انعطفت الى نازك الملائكة . ولكن الدراسة في الحقيقة وقفت بين بين . فما تعمقت هذه الشاعرة تعمقا يكشف لنا عن خصائص بنائها الشعري ، وما عرضت لتجربة الشاعرة على ضوء واقعها النفسي او الاجتماعي أو الفكري . لقد حددت الدراسة المعالم الرومانطيقية العامة لشعر نازك ، وطبيعتها الذاتية الصرفة التي أمدتها بقدرة فائقة على استبطان مآسي الاخرين . ولكن في الحقيقة كنت احس بالحاجة الى مزيد من التعرف على نازك الملائكة . كيف تبني قصيدتها ، ما العلاقة بين هذا البناء الفني للقصيدة ورؤيتها العامة للحياة . أين نازك الملائكة من خريطة الشعر الحديث ؟ لماذا توقفت عن ان تواصل رحلتها الشعرية ؟ هل هو استنفاد لحدودها الذاتية الرومانطيقية ؟ لقد قدم لنا الدكتور

(*) نؤكد للاستاذ الناقد ان سبب هذا النقص راجع الى تخلف ناقدين من الجمهورية العربية بالذات ، هما الاستاذان الدكتور عبد القادر القط (الذي قبل كتابة دراسة عن الشاعر حجازي) ورجاء النقاش (الذي قبل كتابة دراسة عن عبد الصبور) وقد تخلفا (لاسباب لا نعرفها) في وقت لم يعد معه متسع لتكليف ناقدين اخرين بهذه المهمة . « الاداب » .

شكري عياد مسحا خارجيا للتجربة الشعـــرية عند نازك الملائكة وهو مسح قيم وجيد ، ولكنه يستبقي في نفوسنا كثيرا من الاسئلة الحائرة ، وفي عيوننا كثيرا من الجوانب الغامضة . والواقع اننا عندما ننتقـل الى الدراسة الاخرى التي قام بها الأستاذ سامي مهدي عن « نـــازك الملائكة وعروض الشعر الحر » نحس بالفعل ان نازك قضية تحتاج الى مزيد من الدراسة . لقد بين لنا الاستاذ سامي مهدي هذا الاتجـــاه التقليدي الجامد الـــذي تريده نـازك الملائكة للبنـاء العروضي للشعر الجديد . وهو اتجاه لا يتفق مع طبيعة هذا الشعر الجـديد . ما سر هذا الاتجاه الشكلي عند نازك الملائكة ، وهل هناك علاقة بين هـــذا الجمود الشكلي ، وبين توقفها عن المشاركة في حركة الشعر الجديد ؟ هذه دراسة ما نزال ننتظرها .

ننتقل بعد ذلك الى دراسات أخرى يغلب عليها المنهج التعبيـــري في النقد . انها ليست دراسات لكشف الاسرار الداخلية لبناء التجربة الشعرية ، وليست دراسات لوضع تجربة هذا الشاعر او ذاك في اطار الرحلة الاجتماعية أو الانسانية العامـــة ، وانما هي بحث انطباعي ، يسرد التجربة الشعرية سردا نثريا ، ويعلق على دلالتها تعليقا انفعاليا . وأول هذه الدراسات وأبرزها دراسة الاستاذ خليل احمد خليل عـن ادونيس . والمقال زاخر بالاحكام العامة التي هي في الحقيقة انفعـال الناقد بشعر ادونيس وبعالم ادونيس . وقد أحسست في المقال انني أقرأ أدونيس مرة اخرى بلغة النثر والتحليل ، وان كان نثرا وتحليـــلا يشوبهما الانفعال ، ورغم ما في المقال من اخلاص وجهد وثقافة ، الا انه لا يضيف جديدا ، سواء من حيث بناء القصيدة عند ادونيس او دلالة شعره في اطار حركة الشعر الجديد .

وكذلك مقالة خليل كلفت عن خليل حاوي . انها رحلة طيبة عبر دواوين ثلاثة ، تعرض للدلالات العامة لهذه الدواوين عرضا انفعـــاليا عاما ، دون تقييم فني أو فكري أو اجتماعي للتجارب الشعرية في هذه الدواوين وتحديد لوضعها في اطار الحركة الشعرية العامة .

وهناك كذلك مقالة الاستاذ محيي الدين اسماعيل عن نزار قباني . انها من نفس النمط التعبيري ، وان كانت أحكامها العامة اكثر مغـالاة وتجريدا .

والمقالة تقدم صورة بالغة الحرارة والرهافة لنزار قباني ، وتدافع عن رؤياه الايجابية الهادئة الىالحياة ، التي لا تتسم بالتعقل او التمرد . فهو شاعر الشؤون الصغيرة الذي يقـــول للحياة نعم . هــــذه هي حدوده . والمقالة كما نرى لا تدرس وانما تقيـــم تقييما تعبيريا عاما . لا تدرس خصائص البناء الشعري لنزار قباني ، ولا تحدد موضعه مـن خريطة الشعر الحديث ، من مجتمعه وعصره .

بهذا تنتهي الدراسات الخاصة بالشعراء . وهي كما رأينا تتميز بثلاثة مناهج نقدية : منهج داخلي ، ومنهج خارجي ، ومنهج تعبيري . على أن هذه الدراسات تفتقـــد دراسة خاصة بشعراء مثل صـــلاح عبد الصبور وعبد المعطي حجازي كما أشرنا من قبل ، ولكن هــــذه الدراسات في الحقيقة تدرس في مجملها ظاهرة الشعر عند كل شاعر على حدة ، ولا تعرض له في اطار التجربة الشعرية العامة في الوطـن العربي كله ، أو في اطار التجربة الشعرية في كل بلد من بلادنـــــا العربية . ولعلنا بهذا نفتقد الاحساس بطبيعة التجربة الشعريـــــة الجديدة في مختلف البلاد العربية ، في هذه الدراسات التي عرضنـــا لها لبعض الشعراء .

وبهذا ننتقل الى القسم الثالث من هذه الدراسات الذي يـدرس ظاهرة الشعر في مجموعها .

القسم الثالث : نظرة شاملة الى الشعر الحديث :

من الطبيعي أن يبدأ هذا القسم بمقال عن الشعر الجديـد والنقد للدكتور محمد النويهي . على ان مقال الدكتور النويهي لا يكاد يقتصر على الجانب التاريخي . فيعرض للموقف النقدي القديم للاستاذ عباس محمود العقاد ، ويبين كيف انه كان تمهيدا ثوريا لحركة الشعر الجديد ، رغم تناقض العقاد مع هذا الشعر الجديد عندما تفجـرت منابيعه اخيراً . ثم يعرض كذلك لدعوى التجديد التي نادى بهـــا الدكتور طه حسين ، وعلمها في دراساته المنهجية المختلفة والتي كانت مصدرا لا شك لحركات التجديد الشعرية . ثم يعرض اخيرا للمـوقف النقدي للدكتور محمد مندور مبينا انه كان متخلفا في بدايته لمقتضيات التجديد ، وان استطاع ان يساير الجديد في السنوات الاخيرة مـــن حياته . والدكتور النويهي يحرص على تسميته للشعر الجديـــد بالشعر المنطلق ، وهي في الحقيقة تسمية لم يقنعنا بها رغم كتاباتـــه الجادة المتنوعة في هذا الشأن . وليس هناك مجال لمناقشة هذهالقضية الفرعية ، وحسبي أن أقصر كلمتي على الملاحظات الاساسية عـلى مقاله القيم . ولست أختلف معه في التمهيد الذي مهد به العقاد والدكتـور طه حسين للشعر الجديد ، وان كنت أختلف معه في أمرين فيما يتعلق بالعقاد . انه يقول ان العقاد كان يدرك حقيقة الوحدة العضوية للشعر ولكنه لم يستطع ان يحققها في شعره بسبب الوزن الواحد والقافيـــة الواحدة . ثم يستغرب وقفة العقاد المعادية لحركـــة الشعر الجديد ، ويفسرها الدكتور النويهي تفسيرا يكاد يكون بيولوجيا ، يفسرها بالسن والشيخوخة . والذي لا شك فيه ان الوزن الواحد والقافية الواحـدة قد تحد من الوحدة العضوية للبناء الشعري ، ولكن ، ما اكثر القصائد الشعرية التي تتميز بالوحدة العضوية رغم بنائها على أساس الـوزن الواحد والقافية الواحدة . ليس ثمة استحــــالة اذن ـ كما يقـــول الدكتور النويهي ـ ان تقوم الوحدة العضوية برغم الوزن والقافيـــة . ليس هناك من مجال هنا لاقدم أمثلة ما اكثرها في شعر ابن الرومـــي ، بل في شعر كثير من شعراء المدرسة الرومانطيقية نفسها التي ينتمـي اليها شعر العقاد . وما زلت أؤكد ان العقاد كاد أن يفهم من البنيـــة العضوية ، وحدة الموضوع ، لا الوحدة الحية الداخلية في بنـــاء القصيدة ، فاذا كنت مخطئا في هذا الزعم ، فلا أقل من القـــول ان العقاد لم يستطع ان يبني قصائده على أساس هذه الوحدة العضوية ، لا نقصا في قدرة البناء التقليدي على ذلك ، بل نقصا في قدرة العقـــاد نفسه ، بـل طبيعة في شعره الذي كان يغلب عليه التعقل وما يفرضه هذا التعقل من تقطع في البناء الشعري ، وفي التجربة الشعرية ذاتها .

أما رفض العقاد للشعر الجديد ، فلا يكفي أبدا أن نفسره بالسن ، وانما نفسره بموقف العقاد العام في النصف الثاني من حياته من قضايا

ـ التتمة على الصفحة ٧٦ ـ

الى معلمي المدارس
اجمل الهدايـــا
بمناسبة اعطاء الجوائز في اخر السنة لتلامذتكم
اعدتها لكـم
مكتبة انطوان
فرع شارع الامير بشير

القصائد

بقلم الدكتور احمد كمال زكي

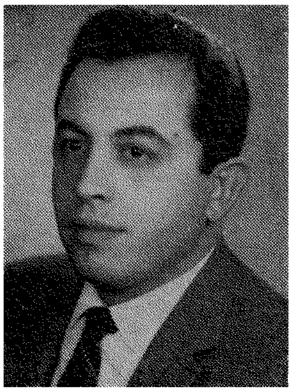

***

ملحوظة ابدأ بها عرضي لشعر العدد الممتاز من الاداب ، وهي ان هذا العدد – على الرغم من انه قصر على الشعر – خلا تماما من كل ما يتصل بطبيعته واسلوب تذوقه ومبلغ وعينا بجانبي المتعة فيه والفائدة، على اساس انه كشف للانسان . وجاء كله مع تقديري لمن اسهم فيه بالبحث والمناقشة أشبه بنظرات تاريخية واجتماعية ونفسية ، ويشكل بعضها خليطا عجيبا من دعاوى ينقصها النضج واقتراحات شملت كل شيء الا ان تبين كيف نقبل على الشعر بنفوس تدرك ان البداية دائما في هذا الفن هي اللغة الموحية التي تستخدم استخداما يختلف عن استخدام النثر لها .

لا ادري ، فما قدمته « الاداب » يدخل تحت ما نسميه ما حول الشعر وليس الشعر،واذا كان ما حول الشعر يعجز عن اكتشاف منابعه وتوصيل تجاربه فما احرانا بالعدول عنه أو التخفف منه الى الاكتفاء بقراءته حتى يقضي الله امرا كان مفعولا .

***

مؤلفات سيمون دو بوفوار

ق . ل

● المثقفون – رواية جزآن
ترجمة جورج طرابيشي ١٤٠٠

● انا وسارتر والحياة
ترجمة عايدة مطرجي ادريس ٤٠٠

● مغامرة الانسان
ترجمة جورج طرابيشي ١٥٠

● الوجودية وحكمة الشعوب
ترجمة جورج طرابيشي ١٧٥

● نحو اخلاق وجودية
ترجمة جورج طرابيشي ٢٢٥

● بريجيت باردو وآفة لوليتا ١٥٠

● قوة الاشياء – جزآن
ترجمة عايدة مطرجي ادريس ١١٠٠

منشورات دار الاداب

تلك الملحوظة – ويؤخذ بها فيما أرى الدكتور سهيل ادريس نفسه – تسلمنا الى ملحوظة اخرى لا يؤخذ بها الا الشعراء برغم ان من بينهم بلند حيدري وعبد المعطي حجازي وعلي احمد سعيد والفيتوري والبياتي ومعين بسيسو وفدوى طوقان وحسن النجمي .

وقد سألت نفسي هل ما قدمه هؤلاء لينشر في عدد قصر على الشعر الحديث هو خير ما كتبوا او يصلح لان يكون دفاعا عن الشعر في اطاره الجديد ؟

الاجابة لا ، واستطيع بكل بساطة ان اعلل باسهاب ، لكن الوقوف عند ثمان وعشرين قصيدة يحتاج الى عدد كامل من الاداب . لهذا اكتفي بالاحالة الى ما سبق ان ذكرت – في هذا الباب – عن الغموض والمحالات الانفعالية والنثرية والتفكك ومخاطبة العقل باسباب العلم كالكيمياء والعناصر والطبيعة والتحول اكثر من مخاطبة الوجدان باسباب الفن كالحس والعاطفة والجمال ، مع التظرف باستخدام « المثنى » والعدد « الف » بلا مبرر معقول .

هذه الملحوظة قد يبرأ منها بعض الشعراء او قد يبرأ من بعضها – بالصورة التي بسطت – الشعراء كلهم ، الا انني اعلم انها سوف تثيرهم علي ، ولن تمنعهم صداقة اغلبهم لي من شتمي ما قرأوا هذا الكلام او ما تذكروني في مجالسهم بعد ذلك ، لكن امري لله !

***

ومع ذلك فاحب أن اقف عند بعض القصائد وقوف المعجب او المناقش او المتسائل ، راجيا الا يفهم من ذلك اني لا اهتم ببعضها الاخر. وابدأ بقصيدة علي احمد سعيد « مرآة الطريق وتاريخ الغصون » ومن حسن الحظ او سوئه اني قرأتها بعد قصيدة احمد عبد المعطي حجازي « مرثية لاعب سيرك » فوجدت بينهما من التفاوت ما يؤكد اننا لا نزال نحاول « شيئا » في الشعر المرسل كله .

حقا لا يبدو ان هنالك ما سيدفع عبد المعطي حجازي الى ان يخرج عن حد البساطة والوصف الخارجي عن طريق رصد الجزئيات – ويشترك معه في هذه الظاهرة فواز عيد وعبد الوهاب البياتي – والموسيقية الصافية الى ميتافيزيقيات علي احمد سعيد ورمزياته وتعقيداته اللغوية والايقاعية ، غير ان ما بينهما يدل على صعوبة الالتقاء حول « شيء » معين له ابعاده الشكلية واغواره الخفية ، ولا ندري بعد ذلك ماذا تريد القصيدة المرسلة : السطوح البراقة والاشارات الموحية والايقاع الهين ام الاعماق المدلهمة والرموز المغلقة والنغم الجنائزي الذي يرثي ضياع الانسان الحي وسط الاحياء ؟

مجرد مصادفة ان اقرأ القصيدتين متعاقبتين ، الا انني استطعت عن طريقها ان اضع علي احمد سعيد في نهاية مرحلة يجب ان يخرج منها – ما دام في قدرته ان يرحل وراء الصيد كما كان يرحل ادونيس – والا صرع في الظلام او فوق الصخور او على تخوم الغربة والغرابة.

ان علي احمد سعيد معلم من معالم الشعر الحديث من غير شك ، لكنني اعجب لماذا لا يستغل طاقاته العريضة العميقة في الخروج الى العالم الذي نعيشه نحن ونريد ان نرى فيه حقيقة الانسان ؟

لماذا يهرب ، والام سيظل يهرب ؟

لماذا ينفصم وينقطع ؟

الانه يريد الكشف عن « الغرابة » وقد صرح في قصيدته بانه رأى العذاب على ضفتها ، وفيم يجدي هذا النوع من الكشف ونحن في عالم يريد بناء الواقع والحقيقة وينهض بالتجربة التي اذا عمقت فهي لا يمكن ان تضل في الاعماق ؟

لم تعجبني القصيدة بحق لهذا – برغم وجود مقاطع حلوة فيها – ويبدو لي ان الشاعر سيظل بعيدا عن وجدان واحد مثلي حتى يخاطبني بما افهم وحتى يدرك ان الشعر نغم ومشاعر وتجربة انسانية واضحة وتصميم يفسده ان يكون في عروقه مثل قوله : تخوم الغرابة في اول النبات ، التاريخ جبس ، العناصر تبكي ، بكورية الاعالي ، كيمياء

– التتمة على الصفحة ٧٩ –

تقييم لعدد الشعر الخاص

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٥ ـ

الفكر والتقدم الاجتماعي عامة . فاذا انتقلت الى اتهام الدكتور النويهي للموقف النقدي للدكتور مندور ، فهو في الواقع اتهام متسرع . فالحقيقة ان احتفال الدكتور مندور بشعر المهجر كان جزءا من موقف نقدي عام يدعو به الى التخلص من الخطابية والتقريرية في الشعر ، والى صدق التجربة الشعرية ووحدتها . وفي تقديري ان هذه الدعوة نفسها كانت تعني تنقية التجربة الشعرية وانضاجها ، وكانت تمهيد بغير شك للشعر الجديد .

على انني أتمنى ان يواصل الدكتور النويهي مقاله هذا فيدرس دور النقد متواكبا مع حركة الشعر الجديد ، مبينا لنا ما بينهما من فعل وتفاعل . أن دراستنا حركة النقد لا تقل خطورة عن دراسة حركة الابداع الشعري من اجل تحديد معالم طريقنا الجديد .

وتأتي بعد دراسة الدكتور النويهي دراستان عن علاقة الشعر الجديد بتراثنا العربي القديم ، احداهما للدكتور عز الدين اسماعيل بعنوان « الشعر المعاصر والتراث العربي » والثانية بعنوان « التجديد بين الشعر العباسي والشعر المعاصر » للدكتور علي الزبيدي . والمقالة الاخيرة في الحقيقة هي توكيد لمعنى عام هو ان التجديد ضرورة حضارية وتاريخية ، وظاهرة تتحقق في مختلف مراحل التاريخ الادبي . ولكن المقال يدرس التجديد كظاهرة عامة دراسة تجريدية ، وكنت أتمنى لو قام الدكتور الزبيدي بالمقارنة بين قيم التجديد في الشعر العباسي وقيم التجديد في الشعر الجديد . ولعله قد وعدنا بهذا في نهاية مقاله .

اما مقال الدكتور عز الدين اسماعيل ، فهو رد بالغ الاهمية والجدية على هؤلاء الذين يزعمون ان الشعر الجديد يولي ظهره للتراث . انه يبين ان التراث لا ينبغي ان يفهم بحدوده الشكلية ، ولكن بروحه العميق ، وهو يدلل على ان « التراث العربي لم يظفر بتقدير وحسن تفهم واستيعاب من شعراء كما ظفر من شعراء التجربة الجديدة » ، وهو يدلل على هذا باكثر من مثال من أمثلة التراث سواء من القرآن الكريم أو المرويات أو المواقف التاريخية أو الشخصيات الانسانية التي نجدها ممتدة ، متمثلة في التجارب الشعرية الجديدة . ولكن ما أحوج هذه الدراسة القيمة أن تستكمل بدراسة اخرى نتبين فيها الدلالات المختلفة لنماذج التراث في تجاربنا الشعرية الجديدة . فلا شك ان السندباد مثلا في تجربة حاوي وفي تجربة صلاح عبد الصبور غيره في تجربة عبد الوهاب البياتي ، ولعل الحلاج كذلك في تجربة البياتي غيره في تجربة عبد الصبور وغيره في تجربة ادونيس . ان التجارب الادبية الجديدة تستوعب التراث وتتمثله ولكن تتنوع مواقفها منه وتختلف رؤاها ، باختلاف المدارس الفنية والفكرية في حركة الشعر الجديد . وفي تقديري ان هذا هو المعنى الحقيقي لتمثلنا للتراث ، هو اضافتنا اليه ، وهو تطويرنا له ، وهو امتدادنا به ومعايشتنا له في قضايانا الانسانية والاجتماعية الجديدة .

ولعلنا قبل ان ننتقل الى الدراسات المباشرة لحركة الشعر الجديد أن نشير الى مقالة الاستاذ نور الدين صمود ، التي يدافع بها عن الشعر الجديد ، مبينا ما يتميز به منهج بناء القصيدة القديمة من زوائد وفضول لا ضرورة لها . ومقال الاستاذ نور الدين صمود ، مقال طريف للغاية ، يكشف عن معرفة واستيعاب وذكاء . ولكني أخشى أن يكون المقال قد اقتصر في دعواه على نماذج محددة من الشعر العمودي . ان دعواه صحيحة بشكل عام . ولكنه اختار لها أمثلة خاصة تؤكدها . وما اكثر هذه الامثلة في الشعر العمودي التي تخرج على هذه الدعوى . الذي لا شك فيه ان البناء الجديد للقصيدة الشعرية يحرر الشاعر من كثير مما كانت تفرضه الاوزان الكاملة والقوافي المطردة من ضرورات . ولكن هذا لا يعني ادانة كل الشعر العمودي ، بالحشو والتكرار والخضوع لضرورة الوزن والقافية ، على حساب المعنى والتركيز . فما اكثر النماذج البالغة الروعة تركيزا ومعنى وأصالة في شعرنا العمودي .

ولعلنا بهذا ننتقل الى بقية الدراسات التي تعرض لحركة الشعر الحديث بالتقييم العام . وسنجد اتجاهين أساسيين في هذه الدراسات ، الاتجاه الاول يعرض له الاستاذ مطاع صفدي في مقاله الشيق عن « مسؤولية المعاناة في الشعر الحضاري » . وفي هذا المقال يؤرخ الاستاذ مطاع صفدي تاريخا فكريا ووجدانيا وأمينا لحركة الشعر الحديث من مرحلة الوعي بالكارثة الى مرحلة المعاناة . وهو في الحقيقة كما يقول كذلك انتقال للشعر من مرحلة الشعر الجماهيري عند سليمان العيسى ويوسف الخطيب وغيرهما الى شعر المعاناة الحضاري عند السياب وحاوي وعبد الصبور وغيرهم . هو انتقال بالشعر من التوتر السياسي الى التوتر الحضاري الانساني ، من اليقظة وسط الجماهير الى الصحو وسط الذات . ومع تقديري لما في مقال الاستاذ مطاع صفدي من استشراف انساني ، وعمق فكري ، فانني أختلف معه في امرين : الاول هو انه يعالج هذه الظواهر الفكرية والفنية في الشعر الحديث في غير ارتباط بالواقع الحي ، انه يسميها ولا يحكم عليها ، انه ينظر اليها في ذاتها ، في غير حكم موضوعي عليها . والامر الثاني انه لا يميز في حركة الشعر الجديد بين تيارات متنوعة : انه يتخذ الشعر الجديد في مرحلته المعاصرة كوحدة واحدة ، رغم ما في داخله كما ذكرت من تيارات وتناقضات واتجاهات مختلفة . قد نجد علاقات بين عبد الصبور وحاوي وادونيس ولكن ما اكثر الفروق بينهم كذلك في النظرة الحضارية نفسها . وما اكثر الفروق بينهم وبين عبد الوهاب البياتي وأحمد عبد المعطي حجازي مثلا . انه لا يميز داخل حركة الشعر الجديد من اتجاه يتحرك من الظاهرة النامية في حياتنا الاجتماعية والحضارية ، ويسعى بها الى مزيد من التنمية والتفتيح وبين اتجاه اخر لا يتحرك مع هذه الظواهر النامية في حياتنا الاجتماعية ، بل يتجه بشعره الى العزلة والتعتيم والطريق المسدود . لعله يجد اتجاها عاما شاملا لا سبيل الى انكاره هو غلبة التجريد ، غلبة النزعات الفلسفية العامة ، بل غلبة الروح الميتافيزيقية في كثير من التعابير الشعرية . ولكن في قلب هذا التجريد وفي قلب هذا الاتجاه الفلسفي بل الميتافيزيقي ستختلف دروب الرؤية الشعرية ودروب الفعل الشعري .

ولعلي أعود فأسأل الاستاذ مطاع صفدي : هل انتهت مرحلة الشعر الجماهيري ؟ هل الظواهر التجريدية في الشعر المعاصر ظواهر أصيلة أم ظواهر عابرة نتيجة لبعض الملابسات الموضوعية التي تمر بها البلاد العربية هذه الايام ؟ ألا يحتاج الوجدان العربي العام اليوم الى شاعره الذي يخاطبه بهمومه العامة ، الى جانب همومه الخاصة ، والذي يتحرك معه خارج ما يزعمونه من حصار أو طريق مسدود ؟ والقضية ليست أن نعبر بالشعر عن المأساة ، تعبيرا يعمق المأساة وجدانيا ويصنع لها قيودا في الفكر والفعل ، وانما المهم ان نعبر بالشعر حدود المأساة ، وليكن تعبيرنا عنها عبورا لها ، وتحررا منها ، وصياغة بالشعر لحركة الحياة وصناعة بالشعر لهذه الحركة . أخشى أن أقول للاستاذ مطاع صفدي ان الجماهير العربية فقدت شاعرها ، وهي تنتظره . لا تريد منه أن يتخلى عن كنوزه التعبيرية الجديدة ، ولكنها تريد منه أن يخاطبها ، ان يغني لها ، ان يبكي معها ، ان تنبض مأساته بمأساتها ، أن يتحرك معها ولها . وأخشى أن أقول للاستاذ مطاع صفدي ان ما يسميه معاناة حضارية ليس تطورا لواقع فني وفكري ، وانما هو غربة وانسلاخ وضياع . لست أشك في ان واقع حياتنا العربية يمتلىء بما يستثبته في وجدان عدد من الشعراء ، ولكني لا اريد ان اجعل منه مظهرا صحيا أشيد به ، وأتخذه قدوة ونموذجا ، كما كاد أن يوحي مقال الاستاذ مطاع صفدي .

وعلى نقيض مقال الاستاذ مطاع صفدي نجد مقالا للاستاذ شوقي

خميس بعنوان « التيار الثوري في الشعر العربي » . ولهذا نجد أن ما يسميه الاستاذ مطاع صفدي « صحو المعاناة » ، يسميه الاستاذ شوقي خميس « بالغربة الميتافيزيقية » و « بالصوفية » ، ورغم تقديري للاتجاه العام الذي يصدر عنه مقال الاستاذ شوقي خميس الا انه يتسم ببعض الاطلاق والحدة في بعض احكامه . انه مثلا يتهم هذه الصوفية التي يتسم بها شعراء الغربة الميتافيزيقية بأنها صوفية لا تصدر عن تجربة معاشة وانما تنبع من طموح جشع متناقض . وهذا تفسير نفسي خالص للظاهرة ، بل هو اتهام اكثر منه تفسيرا . وما كان أجدره أن يدرس ظاهرة الغربة هذه على ضوء واقعنا العربي الراهن ، لعله ينتهي الى أحكام أكثر موضوعية ، وانصافا . ويعرض الاستاذ شوقي خميس بعد ذلك عرضا موفقا للتيارات الثورية والانسانية في الشعر المعاصر ، وان كنت أتمنى أن يهتم بدراسة الجانب الجمالي في الشعر الحديث . لقد اشار مثلا الى تنوع أساليب التعبير بين الشعراء الثوريين والانسانيين ، والى بروز بعض الاتجاهات التجريدية . وهذه اشارة طيبة تحتاج الى تعميق ، كما تحتاج الى بيان الفروق الجمالية داخل اطار التيار الثوري ، ثم الفروق الجمالية بين التيار الثوري وبقية التيارات التي اتهمها بالغربة الميتافيزيقية .

على أن مقال الاستاذ شوقي خميس يقف على الطرف الاخر المواجه لمقال الاستاذ مطاع صفدي ، في تقييمهما للحركة الشعرية الجديدة ، وان كنت أتصور انهما يصدران عن منطلق فكري واحد من الناحية الانسانية والاجتماعية العامة على الاقل . ويقف مقال الاستاذ حسين مروة هادئا رصينا بين مقالي الاستاذ مطاع صفدي والاستاذ شوقي خميس . انه يبدأ مقاله بالاشادة بما حققه الشعر الحديث من انتصار واستقرار ، سواء من ناحية الشكل او من ناحية المضمون . ولكنه يعبر عن قلقه لبروز ظاهرة جديدة وخطيرة معا هي انفصال الشعر الحديث عن ينابيعه الاصيلة في حياتنا العربية ، فهناك من الظواهر في هذا الشعر الجديد ، ما نتبين منها حرص بعض شعرائه على تجنب الموقف المسؤول . ويقصد الاستاذ حسين مروة بالموقف المسؤول ارتباط الشاعر « بملحمة التغيير والتحرير » في حياتنا العربية . أن الاستاذ حسين مروة يتكلم عن نفس الظاهرة التي تحدث عنها الاستاذ شوقي خميس ، ظاهرة الغربة الميتافيزيقية ، ولكنه يتحدث عنها حديثا هادئا ، فيه كثير من الود ، وهو يحرص كذلك ان يتبين اسباب هذه الظاهرة ويرجعها الى اسباب ثلاثة ، يرجعها الى التأثر بتيارات غربية تنتسب الى ظروف اجتماعية تختلف عن ظروفنا ، ويرجعها الى المد الرجعي في بعض البلاد العربية ، ويرجعها الى انتساب بعض هذا الشعر الى طبقات أصبحت عاجزة عن ان تقدم لمجتمعها اسباب التفاؤل . ولعل هذا المقال القيم للاستاذ حسين مروة ينقلنا الى مقال قيم اخر للاستاذ فاضل تامر يكاد يعرض لنفس الظاهرة ، ويتخذ نفس المنهج الذي اتخذه الاستاذ حسين مروة . ومقال الاستاذ فاضل تامر بعنوان « ظاهرة الغموض في الشعر » . انه يفسر الغموض في الشعر بالجو السياسي والفكر السائد في البلاد العربية ، وهو يدعو الى مراعاة مستوى الجمهور دون ان يكون على حساب القيمة الفنية للشعر ، وهو ينبض بالاحساس العميق بمسؤولية الشاعر في تطوير الواقع العربي في هذه المرحلة من حياتنا .

ولعل هذا المقال ينقلنا الى مقال تطبيقي عن « الجذوة الشعرية الفلسطينية » للاستاذ ابراهيم ابو ناب وهو مقال طيب للغاية ، يعرض فيه لمعنى جديد لشعر النكبة ، هل هو يقتصر على الشعر الفلسطيني ، أم هو دلالة عامة في الشعر العربي المعاصر كله ؟ ثم ينتقل بنا بعد ذلك الى دراسة شعر النكبة في الشعر الفلسطيني في الجزء المحتل من فلسطين . وقد لا يكون من حقي في هذا المقال ان أقيم الشعر ، ولكني أستميح القارىء عذرا لاقول انني قرأت في مقال الاستاذ ابو ناب نماذج شعرية بالغة الجمال والروعة . وأكاد أحس بشوق غامر الى مثل هذا الشعر الزاخر بالصدق والحيوية والحرارة . أقول ذلك ردا على من يعتقدون أن ما يسمى بالشعر الجماهيري قد انتهى عهده ، وانه لا سبيل ألا لشعر الجذور والاعماق والاعالي . مرحبا بشعر الجذور والاعماق والاعالي ، ولكن في غير انفصال او انقسام عن حركة الحياة والواقع والانسان العربي .

وقد ينقلنا هذا الى صرخة الاستاذ رئيف خوري في هذا العدد الذي يدعو فيه اصحاب الشعر الحديث الى بعض الاصالة العربية . والاستاذ رئيف خوري لا يقف ضد التجديد ، ولكنه يلاحظ في حركة الشعر الجديد انعدام الايقاع وفقدان الشحنة الشعرية وسيادة بعض التعابير الشعرية الغربية مما يكاد يجعل من بعض هذا الشعر ترجمة من لغة اجنبية . والذي لا شك فيه ان صرخة الاستاذ رئيف خوري تصدر عن حس صادق وعن امانة فنية وقومية معا . والذي لا شك فيه ان بعض الشعر الحديث يتسم بهذه الصفات التي أشار اليها الاستاذ رئيف . ولكننا لا نستطيع ان نعمم الحكم ، ونطلقه اطلاقا ، فما اكثر ما نجده في الشعر الحديث من ايقاع ، ونسيج عربي أصيل . والقضية قد تكون قضية الايقاع نفسه . فقد تختلف في تذوقه . والايقاع قيمة جمالية تتنوع وتختلف باختلاف التجارب والمراحل والخبرات النفسية والاجتماعية والحضارية . ولهذا فالايقاع لا يناقش في ذاته وانما في وظيفته التعبيرية . ولكن رغم هذا أعتقد أن الشعر الحديث يغلب عليه الايقاع الرمادي . وهي ظاهرة لا نقف منها موقف الرفض او القبول فحسب ، بل موقف الدراسة . وهي ليست صفة للشعر الجديد ، بقدر ما هي سمة من سمات رحلة في حياتنا المعاصرة ، من رحلة الشاعر ، من علاقة الشاعر بجماهيره ، من طبيعة الجماهير . ألا ترتبط دراسة قضية الايقاع بقضية التيارات المختلفة في الشعر الجديد وموقفها من واقع المجتمع العربي المعاصر ؟ أعتقد ذلك . على ان ما يجده الاستاذ رئيف خوري نقصا في الشعر الجديد ، يجده الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا كمالا . بل يدافع الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا عما يشكو منه الاستاذ مروة والاستاذ فاضل تامر . والاستاذ جبرا ابراهيم جبرا يعرض للسمات الجديدة للشعر الجديد ويحددها في المونولوج ، والمونتاج ، وفي تقديره انها ليست سمات أساسية ، فالمونولوج احدى السمات ، ولكن ما اكثر الدياالوجات في الشعر الحديث . لعل المونولوج يغلب على بعض الاتجاهات ، ولكنه ليس السمة الاساسية للشعر الجديد . والمونتاج ليس سمة جديدة بل هو في تقديري سمة لكل بناء فني عامة . كل عمل فني ، كل خلق فهو مونتاج لا يتميز بهذا الشعر الحديث . ثم ان المونتاج يختلف باختلاف الدارس : هناك مونتاج كلاسيكي واخر تعبيري وثالث انطباعي ورابع واقعي وخامس وسادس وسابع . اما حكاية التضمين فهي سمة بغير شك للشعر ، وان لم تكن بالضرورة تأخذ هذا الطابع الرمزي التجريدي التي يريدها له الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا .

وبعد هذه الرحلة الطويلة يأتي مقال الاستاذ سامي خشبة عن الفكر والشعر العربي الحديث . وفي هذا المقال القيم يقدم لنا الاستاذ سامي خشبة خارطة للواقع النفسي والاجتماعي والفكري للشعر العربي المعاصر بكل ما يزخر به من متناقضات حية . ويحرص الاستاذ سامي خشبة ان يميز بين موقفين في معنى الفكر في الشعر الحديث ، موقف هؤلاء الذين يحيلون الشعر الى بيانات وشعارات وبرامج وتقارير ، يقتل فيها الفكر روح الموسيقى الشعرية ، وموقف هؤلاء الذين يجعلون الشعر بتجريداتهم واغرابهم طريقا مسدودا لا يبين عن شيء . وهو يدعو الى الشعر الحق الذي يكون فيه الفكر جزءا صميما من بنائه الشعري نفسه ، بغير شعار جهير او اغراب وتجريد مخل ، والشعر الحق الذي يعيننا على احتمال العالم وعلى فهمه وعلى تغييره . وبهذا المقال يوفق الاستاذ سامي خشبة بين دعوة التنمية الفنية للشعر الحديث في غير انفصال او عزلة او غربة عن روح الشعر من ناحية او روح الثورة الاجتماعية من ناحية اخرى .

ولم يبق أخيرا من مقالات هذا العدد عن الشعر العربي الحديث

الا مقال الاستاذ صبري حافظ عن قصيدة النثر . والاستاذ صبري حافظ يدرس هذه الظاهرة من ظواهر التعبير الشعري المعاصر ويرفضها رفضا قاطعا باعتبار انها ليست بالشعر وليست بالنثر ، ويدينها ادانة يغلب عليها الطابع السياسي الخالص .

والواقع انه مهما كان رأينا في قصيدة النثر هذه ، فهي ظاهرة فنية لا أجدها عند هؤلاء الشعراء الذين يشير اليهم الاستاذ صبري حافظ فحسب ، بل أجدها كذلك عند ادونيس في ديوانه «التحولات» . هناك ظاهرة هذا الشعر الخالي تماما من الوزن والقافية ، وان احتفظ بنوع من الموسيقى التعبيرية ، والتركيز الشعري . والحقيقة ان مشكلة هذه الظاهرة ليست في نثريتها ، بقدر ما هي فيما تتسم به من قيم جمالية وتعبيرية وفكرية نجدها كذلك عند بعض الشعراء الذين لا يكتبون قصيدة النثر . ولهذا فاعتقد انها جزء من ظاهرة فنية جديرة بالدراسة على أسس فكرية واجتماعية وفنية . ولا يكفي معها موقف الرفض والادانة .

***

هذا بشكل عام محتوى عدد « الآداب » الخاص بالشعر الحديث .

وهو في الحقيقة سجل قيم لا لحركة الشعر الحديث فحسب ، بل للحركة النقدية المصاحبة لهذا الشعر . ان هذا العدد يكاد يكون صورة للوضع الفكري في العالم العربي اليوم بكل ما يزخر به من اتجاهات متناقضة . وهو يعبر عما بين هذه الاتجاهات من حوار خصب أرجو أن يرتفع بهذا الوضع الفكري الى مرحلة اكثر تجانسا ، واكثر ارتباطا وفاعلية في حركة الاحداث الاجتماعية والقومية في الوطن العربي كله .

على أن الظاهرة التي أحب أن أبرزها في نهاية هذه الرحلة ، ان الشعر الجديد لم يستقر فحسب ، بل أصبح تيارات واتجاهات ومذاهب مختلفة ، سنجد فيه الرومانطيقية ، وسنجد فيه الرمزية ، وسنجد فيه التعبيرية ، وسنجد فيه الواقعية ، وسنجد فيه الواقعية الاشتراكية . وهكذا يصبح الشعر الجديد واقعا شعريا عاما ، يتفرع الى مواقف وتيارات ومذاهب واتجاهات . ومع هذا التفرع الفني ، يبرز تفرع فكري وتقدمي كذلك . فنتبين المدارس النقدية المختلفة من هذا الشعر الجديد ، الذي أصبح ظاهرة عامة سائدة ، فسنجد النقد الاجتماعي والنقد التعبيري والنقد الوضعي . لا يوجد اذن شعر جديد ، بل توجد مدارس مختلفة من الشعر الجديد . ولا شك ان هذا توكيد لاستقرار هذا الشعر كظاهرة عامة سائدة كما ذكرنا . وما أجدرنا ونحن نحكم على الشعر الجديد ان ندخل في اعتبارنا هذا التمايز بين المدارس المختلفة داخل الشعر الجديد . وما أجدر الشعراء الجدد أن يتبينوا خطواتهم في هذا الطريق . فالشكل التعبيري الجديد في ذاته قد يصبح مزلقا يدفع ببعض الشعراء الجدد الى تجارب غريبة عن وجدانهم متأثرين بهذا الشاعر او ذاك . لقد استقرت ظاهرة الشعر الجديد وسادت ، وبقي أن تحدد معالم تياراتها المختلفة ، سواء من الناحية الفنية او من الناحية الفكرية .

ان القول بالشعر الجديد على اطلاقه يؤدي الى الخلط والتخبط والتداخل بين القيم الفنية والفكرية على السواء . ولا ينبغي ان تخدعنا كلمة الحداثة أو الجدة عما وراء هذه الحداثة او الجدة من قيم . ان اخطر واجباتنا النقدية هي ان نحدد وان نميز بين القيم الجديدة المتنوعة في المدارس المتنوعة ، وان نسعى بغير شك الى تسويد اكثر القيم الفنية والفكرية تصويرا لحياتنا وارتباطا بواقعنا وتعبيرا عن أشواقنا وهمومنا . وان هذا المجلد الضخم الذي تقدمه لنا « الآداب » عن الشعر الحديث هو اساس يمهد لمثل هذه الدراسة .

فتحية لكل من أسهم في هذا العمل التاريخي الجليل .

القاهرة — محمود امين العالم

صدر حديثاً عن
دار الطليعة للطباعة والنشر ش.م.ل
بيروت - ص.ب: ١٨١٣

● الاختيار الثوري في المغرب
تأليف المهدي بن بركة

● دراسات في الاقتصاد العراقي
تأليف محمد سلمان حسن

● نقد الفكر القومي
ساطع الحصري
تأليف الياس مرقص

● القضية الكردية
طبعة جديدة موسعة
تأليف محمود الدره

● الحرية في الدولة الحديثة
تأليف هارولد لاسكي — ترجمة احمد رضوان عز الدين

● حول بعض قضايا الثورة العربية
تأليف ياسين الحافظ

● حتى نقهر الموت
تأليف صلاح عبد الصبور

● عشرة أيام هزت العالم
وصف شاهد عيان للثورة الروسية ١٩١٧
تأليف جون ريد
ترجمة فواز طرابلسي

طالعوا عند نهاية كل شهر المجلة الفكرية التقدمية
دراسات عربية
تصدر عن دار الطليعة - بيروت - ص.ب ١٨١٣

القصائد

– تتمة المنشور على الصفحة ١٦ –

العصور ، الذين يسيرون في النار يستنبتون شهر الحلم يفتحون في رماد العصافير بوابة .. بالله كيف ؟

وعلى العكس من هذه القصيدة « الاطار الفارغ » لمحمد النقدي – وقد ساءني ان استخدم المثنى بلا مسوغ جوهري – ففيها غنائية رفيعة وبعد واضح عن التقريرات الجافة والتعالم الثقيل ، ولولا ان تجربة حسن النجار في قصيدته « تراجيديا ريفية » ينقصها التخصص الذي يبلور التجربة ويحدد الخط الشعوري لالحقتها بقصيدة النقدي على مستوى التأثير والنفاذ . على ان النجار اثرى قصيدته باتاحته الفرصة لكي تتداخل عدة اوزان مستخدما في النشيد الاول من القصيدة وحدة الرمل « فاعلاتن » ووحدة الرجز « مستفعلن » ووحدة الكامل « متفاعلن » والعلاقة بين هذه البحور وطيدة والانتقال من كل منها الى الاخر هين ، على انه استخدم في النشيد الثاني من القصيدة وحدة الوافر « مفاعلتن » ولو كان مزج به البحور الثلاثة المذكورة لفشل فشلا ذريعا .

ومن القصائد التي استرحت اليها « في ليلة ماطرة » لفدوى طوقان ، ومما لفتني « يتحدث الظمى » لمحمد عفيفي مطر . الاولى مفعمة بالدفء وتبلغ الشاعرة فيها ما تريد من غنائيتها المعهودة ، والثانية خطوة جريئة من الشاعر الى الدراما الشعرية التي تعتمد التقاليد الفطرية والخرافات حيث لا يبقى للمنطق سوى دور صغير وللعين الا ان تنظر الى ما وراء الظلال الحمر والاشباح ومشانق الاشجار ومسارب اللبن وجميزة المغرب والاناء الفخار . على اني اسأله لماذا يسف ،اتراه يظن انا نفقد حلاوة الاداء الشعري الحلو بالارتفاع عن لغة التخاطب في القرية ؟

ولفتتني ايضا قصيدة بلند الحيدري « غصن وصحراء ومظفر » لا من حيث صياغتها فبلند لا يجارى في اتقان صياغته الفنية لشعره ، ولكن من حيث انها محاولة للخروج من همومه التي صاحبت هروبه من المجتمع بعد ان التزم بقضاياه زمنا . حقا كان تردده فيها لا يخفى على احد ، ولكنه تردد اكثر ميلا الى التفاؤل حتى ليقول مختتما :

اسكني يا ريح
فالانسان انى كان نبع يتفجر
وسيبقى الغصن اخضر

***

ثم ماذا بعد ذلك ؟

لا شيء سوى وقفات عابرة على قصائد موزعة بين الابتهالات الرومانسية على ما نرى في « اشواق مخبأة » لفؤاد الخشن و «النهر» لجورج غانم ، وبين محاولات لالقاء الضوء على الواقع حتى وان استلزم الامر اللجوء الى التقريرات على ما نرى في « القرصان » لعلي كنعان و « الساحر والمشدودون الى المقعد » لحسن النجمي .

اما عن « الميلاد والموت » لعبد الوهاب البياتي فدون ما اعرفه من شعره ، ربما لاني لم افهم مرماه فيها . الا ان بها ميزة هي تنوع صورها حتى ليبدو بعضها كما لو كان منفصما عن بعضها الاخر .

واما « الى بول روبسون » لمحمد الفيتوري فهي تقدم لنا مزيجا رومانسيا من الوصف الظاهري والانفعال الذي يتحول احيانا الى هتاف. ولكنها تمتاز بصفاء الاداء ، واجمل ما فيها مقطعها الاخير .

واما « السحب العريقة » لفواز عيد فمحاولة لابداع لغة تلين لقوالب خطط لها بذكاء وعناية . في حين بدت « الشيء الدفين » لكامل ايوب محاولة لابداع قوالب تقصر عنها اللغة الشاعرة ، ومثل هذه « الحي العربي » لسعدي يوسف و « الاكذوبة بين الشفتين » لمحمد ابراهيم ابو سنة .

واما « القمر ذو الاحد عشر وجها » لمعين بسيسو فحلوة في جملتها وتأسر بايقاعاتها السهلة . وفي رأيي ان ما يعيبها انها تقف في منتصف الطريق بين مظاهر الوجود والواقع الانساني ، فضلا عن لمحات نثرية اخشى ان يكون مبعثها ظن الشاعر ان التعمق يعني الغموض .

واما « ثلاث قصائد في الغربة » لعبد الستار الدليمي فمحاولة متوازنة لربط احاسيس الحزن والغربة والملل والشوق بالظواهر الكونية. ولا ادري ما حدود التجربة فيها ، ولكن اداءها في جملته سليم ومتناسق.

واما « رومبا » لرياض معلوف فتذكرني بقصيدة نزار قباني «سامبا» ولكن شتان بين هذه وتلك . على ان مثل « رومبا » فيما ارى لم يعد يقرأ في هذه الايام ، فلكل عصر حاجته !

واما « مذكرات طفل عاشق » لموسى النقدي فاداء قصصي في اطار قصيدة ناءت بالتفصيلات – ومثلها قصيدة « الارض والزيتون » لوفاء وجدي – في حين توارت هذه التفصيلات في « يوسف في غيابة الجب » لمحمد سعيد الصكار ، وظلت القصة مع ذلك او بذلك خيرا منها ما نقرؤه في القرآن الكريم او في احد تفاسيره .

واما « قهوة العصر » لحسب الشيخ جعفر فمع حبي لصاحبها وتقديري لشاعريته اقول له – على اساس انه من اصحاب الشعر المرسل – ما قاله رئيف خوري في العدد نفسه الذي نشرت فيه تلك القصيدة : بعض الاصالة العربية يا اصحاب الشعر الحديث !

***

واسكت بعد ذلك عن ثلاث قصائد هي « من مذكرات الرحلة القديمة » لنصار محمد عبد الله و « الخروج من البحر الميت » لمحمد عز الدين المناصرة و « عصر الثلاجات » لسعد دعبيس ، لانها جميعا خارج النقد .

القاهرة

احمد كمال زكي

طالعوا كل شهر
المجلات الثقافية اللبنانية
الاديب
الحكمة
العرفان
العلوم
فهي تحمل اليكم النتاج الفكري الرصين
والابحاث القيمة باقلام خيرة الكتاب والادباء